



الإحسان في حفظ القرآن

تطبيق على سورة المرسلات

اللقاء الأول

أ.أنهيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أساتذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لمن الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

[/!#/http://tafaregdros.blogspot.com](http://tafaregdros.blogspot.com/)

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.
- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

[/http://www.muslimat.net](http://www.muslimat.net)

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستعفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضى.

من عناصر الدرس:

- مقدمة حول موقفنا من الفتن (أحمدوا ذكركم وأكثروا من ذكر ربيكم).
- أحسن ما تواجهه به الفتن: التمسك بكتاب الله ومدارسته، وأعظم أعظم العبادات التي يتقرب بها العبد إلى الله: أن يفهم كلامه وخطابه.
- إذا أردت أن تبلغ درجة الإحسان، فعليك بالإحسان في قراءة القرآن
- مقدّمة فيها خمسة مسائل¹.
- توضيح الإيمان الإجمالي والتفصيلي بالقرآن.
- هناك علاقة وطيدة بين تدبر القرآن وثبات الإيمان.
- أن القرآن يقرؤه المؤمن والمنافق والفارق بينهما الإيمان الذي يزداد بقراءة القرآن، ونقل أدلة وأقوال للسلف في ذلك.

¹ قراءة من كتاب الإحسان في التعامل مع القرآن، نسأل الله أن ييسر طباعته ونشره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمده سبحانه وتعالى ونشكره أن يسّر لنا الاجتماع، ونسأله أن يجعلنا من المقبولين من أولئك القوم الذين اجتمعوا لا يريدون إلا وجهه، يجتمعون على كتابه يذكرونه ويعظمونه ويريدون بذلك أن يلقونه وهو راضي عنهم، نسأل الله عزّ وجلّ أن يحسّن نياتنا ومقاصدنا، وأن يقبلنا، وأن يغفر لنا ذنوبنا، ويجعل مثل هذه المجالس كفارات لنا ودفعةً للفتن عنا.

فإن في زمن الفتن ليس للعبد إلا أن يحمد ذكره ويكثر من ذكر ربه، فإن رأى العبد ونظره للأمر يعتمد على معرفته بربه، فإذا أتى زمن الفتن اختلط على الناس كل شيء، فما كان واضحًا جليًا يصبح مشوشًا مخيفًا، فمثل هذا الزمن وصفه النبي صلى الله عليه وسلم وصفًا واضحًا وأمرنا فيه بأمر واضح: **((الْعِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ كَهَجْرَةِ إِلِيَّ))**¹ وأما الهرج فهو ما يعيشه علمنا الإسلامي، والهرج في تفسير أهل العلم كثرة المقالة -الكلام- مع كثرة القتل، يُقتل المقتول فلا يدري فيما قتل، ويقتل القاتل فلا يدري فيما قتل، فالأمر كما ترون مهما سمعتم من آراء، أو فهمتم من فهوم، يبقى هذا الوضع الذي نعيشه اسمه فتنة؛ لأن الأمر ليس بالوضوح الذي يستطيع الإنسان من ورائه أن يحكم، إلا أننا نعرف شيئًا واحدة: أن الأمة تبتلى بعضها ببعض، هذا الذي نعرفه.

فإذا عرفنا هذا وعلمنا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم أن **((الْعِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ كَهَجْرَةِ إِلِيَّ))** وعرفنا من سنة سلفنا الصالح كابن عمر وغيرهم لما حصل ما حصل بين الصحابة وسئلوا بعد ذلك عن الأحوال التي حصلت قالوا كالأعادة بالنسبة لأهل الإيمان، هذه القاعدة تقول: "دماء سلم الله منها أيدينا فلنسلم منها ألسنتنا".

ملخص الكلام: في الفتن أحمدهم وذكرهم، أحمدهم وأراءكم ونظرهم وانتقاداتكم وما ترون وما لا ترون، أحمدهم وذكرهم، وأكثرهم من ذكر ربكم، وهذا أسلم ما يكون للعبد، فإنك تسكت وتخطيء خير مما أن تتكلم وتخطيء، فإن اجتهد إذا اجتهد فصمت خير من مجتهد إذا اجتهد فتكلم، فإذا أخطأنا في السكوت خير من أن نخطيء في الكلام.

¹ "صحيح مسلم" (كتاب الفتن وأشرط الساعة / باب فضل العبادَةِ في الهَرَجِ / ٧٥٨٨).

فإذا اتفقنا على الأمر الأول أننا في زمن الفتنة نحمد ذكرنا، بقي أن نبقي في وقت الفتنة أن نكثر من ذكر ربنا، وكثرة ذكر ربنا لها صور:

- ✦ المعلوم المعروف المتفق عليه وهو أذكار الصباح والمساء، يعني أطراف النهار وأطراف الليل {لعلك ترضى}، والمعلوم من الأذكار بعد الصلوات والمعلوم من الأذكار المطلقة والمقيدة، هذا نوع.
- ✦ وهناك نوع عظيم من ذكر الله الذي به تطمئن القلوب وهو: مدارس القرآن.

فاليوم وقت الفتنة علينا أن نستنهض قوانا كلها لدراسة القرآن لتعلم القرآن، لا تأتي الفتنة تفتتًا عن دين الله، إننا لا نسلم بالكلام في أي شيء، إنما نسلم لو تدارسنا كتاب الله.

فنسأل الله عزّ وجلّ أن يسلمنا من الفتن ويقبضنا إليه غير مفتونين، فإنّ ما كنّا نقرأه في التاريخ ونسمعه كحكايات أصبحنا نعيشه ونراه، وهذا مما يفزع القلب ويشعر الإنسان أن باطن الأرض خير من ظاهرها، خصوصًا لو مُسّ طرفنا وأخذنا في وسط هذا التيار، وأنتم تعلمون أن في الزمن الماضي كانت الأخبار تأتي من بعيد فيا دوب الإنسان يسمعها، اليوم أنت تعيشها معايشة وربما شاركت فيها! وربما أعنت على دم مسلم بشق كلمة!!

فلذلك مالنا إلا أن نستغيث بالله عزّ وجلّ وندعوه أن يصلح أحوالنا وأحوال المسلمين في كل مكان، نسأل الله عزّ وجلّ بمنّه وكرمه وهو القادر على كل شيء أن يصلح أحوالنا وأحوال المسلمين، ويحفظ أمننا وأمن المسلمين، ويردّ عتّا وعن المسلمين كيد الكائدين، وأن يحفظ قلوبنا من الفتن ومن المشاركة فيها.

فإذا أحمدا ذكرنا بقي علينا أن نذكر ربنا، وكما اتفقنا ذكر الله عزّ وجلّ معلوم معروف ومن ذكر الله عزّ وجلّ الذي تطمئن به القلوب مدارس القرآن، فلا يأتي أحد يسفّه عليك هذا العمل، أو يقول لك العالم في ضجيج وأنت تفتح المصحف وتقرأ وتقول ما معنى هذه الآية وما معنى هذه الآية!

إن أمام عينينا عثمان رضي الله عنها، لقد اجتمع الملاء عليه وعزموا على قتله في فتنة كانت كسر للباب كما وصف النبي صلى الله عليه وسلم، اجتمع القوم عليه ثلاثة أيام رضي الله عنه لا يأكل ولا يشرب! يقرأ القرآن، دخلوا عليه وقتلوه فوقع دمه الطاهر على كتاب الله الذي كان يقرأه!

فكم نجا القوم بلزومهم كتاب الله، ولا أحد يستطيع أن يحتج على أحد أن في زمن الفتنة علينا بالبعد عن كتاب الله، متى ستمسك بكتاب الله إذا ليس في زمن الفتنة تمسكنا؟ فهذا الزمن هذا هو الزمن الذي يزداد تمسكنا بكتاب الله، ويزداد استعدادنا للقاء الله، ويزداد خوفنا من ألسنتنا، ولسانك عضلة إذا أشغلتها بذكر الله نأت وابتعدت عن ذكر غيره.

فأسأل الله عزّ وجلّ أن يغسل قلوبنا مما فيها من الآلام، ويمسح عليها وعلى قلوب المسلمين وبملاها بالقرآن، ويجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وهمومنا.

أحسن ما تواجه به الفتن: التمسك بكتاب الله، وكتاب الله يحتاج منا جهد لفهمه، فلا تظنّ أنك تفعل ما لا يجب عليك.

- إذاً هذا هو الزمن المناسب لدراسة كتاب الله
- هذا هو الزمن المناسب للتمسك بكتاب الله
- هذا هو الزمن المناسب أن نجعل كتاب الله هو قائدنا
- هذا هو الزمن المناسب للعبادة.

وأعظم العبادات التي يتقرّب بها العبد إلى الله: أن يفهم كلامه وخطابه، فهذا من العبادات العظيمة

- وأثر هذه العبادة أن تجمع قلبك في الصلاة
- وأثرها أن تشعر بالخشوع
- وأثرها أن تستعد للقاءه.

فمنع هذا كله: معرفة كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، لكن كيف سنتعامل مع كتاب الله؟

إذا أردت أن تبلغ درجة الإحسان، فعليك بالإحسان في قراءة القرآن، والإحسان في قراءة القرآن وحفظه أمر يحتاج إلى تخطيط، فهم، دقة في التعامل معه.

ستدّرس طريقة لنصل إلى الإحسان في حفظ القرآن ودراسته، وسنطبق إن شاء الله على سورة المرسلات.

أما الطريقة التي سنتكلم عليها للمدرسة التي أطلقنا عليها اسم **الإحسان**، ليست أمرًا جديدًا ولا مخترعًا، ولا يقصد أبدًا بالطريقة أن نجعل هناك طريقة مخالفة لما كان عليه السلف، إنما هذه الطريقة هي محاولة لمتابعة منهج السلف، فسنجد نفسنا في أثناء النقاش نقول: أولًا: سنفعل كذا، ثانيًا: سنفعل كذا، ثالثًا: سنفعل كذا. هذا أولًا وثانيًا وثالثًا مجرد ترتيب أفكار، بعد ما تفهموا الغرض الأساسي والطريقة الحقيقية المقصودة ستسقط عنكم أولًا وثانيًا وثالثًا، وسيصبح الأمر عبارة عن طريقة أنت تعاشها طبيعية عليك أن تقوم بها.

نحن نريد أن نكون عبادًا محسنين في عبادة الله، الإحسان المعروف في حديث جبريل **((أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ))**^١، كيف أصل لأعبد الله كأنني أراه؟

لابد أن أعرف من هو الله: أسماؤه، وصفاته، أفعاله، كيف يعامل أوليائه؟ كيف يعامل أعداؤه؟ بماذا وعدنا؟ بماذا خوفنا؟ كيف عامل من قبلنا؟ لازم نعرف من هو الله من أجل أن تعبد الله كأنك تراه.

إذًا أنت تريد أن تصل إلى درجة الإحسان، الإحسان أمام عينيك، ولست مثل الجهال الذين يعتبرون أن درجة الإحسان خاصة بناس معينين، الإسلام والإيمان والإحسان كله مطلوب منا جميعًا، وعلينا أن نقضي حياتنا لنصل إلى هذه الغاية، علينا أن تكون غايتنا ومقصدنا وهدفنا الذي نعيش له ونمرّر ساعات حياتنا من أجله هو أن نصل أن نعبد الله كأننا نراه، فإذا عشنا هذا الهدف بذلنا من أجله الجهد، وكان وراءه الجزاء العظيم (الحسنى وزيادة)، نسأل الله من فضله!.

ما هو الهدف في الإحسان في عبادة الله؟ أن تعبد الله كأنك تراه، هذه الجملة الطريق إليها واضح جدًا، كيف تصل أن تعبد الله كأنك تراه؟ تعرف من هو الله.

هل لك طريق تعرف فيه الله غير كتاب الله ويتبعه سنة النبي صلى الله عليه وسلم؟ لا. إذًا معناه أنني سأجمع قواي كلها على كتاب الله من أجل أن أعرف الله، لماذا تريد أن تعرفين الله؟ لكي أصل إلى درجة الإحسان، ودرجة الإحسان هؤلاء الذين أحسنوا لهم الحسنى وزيادة، فهذا الذي نطمع فيه، أحسن يحسن الله إليك، أحسن تكون لك الحسنى والزيادة.

إذًا أنا سأقرأ القرآن قراءة من يريد أن يعرف الله، هذا الهدف أحتاج فيه إلى تدريب من أجل أن أصله، فقط تدريب، لما أتدرب ماذا سيحصل؟ سأخرج بمنهج أتعامل به مع القرآن، وكما اتفقنا يوجد فرق بين مرحلة التدريب وبين مرحلة امتلاك

^١ متفق عليه.

المهارة، فكما أننا نرجوا من الله أن نكون من أهل السنة، نخشى جداً من البدعة، نخاف من البدعة. فلما نرتب برنامج ما نريد البرنامج يصبح عبارة عن بدعة في نهاية الأمر! ويأتي أحد يقول من قال أنه يجب عليك؟! وهذا الكلام صحيح من قال أنه يجب عليك؟! لما تكون فاهم الموضوع تعرف لماذا لا بد أن تلاحظ أسماء الله، أنت تريد أن تعرف الله فلما تقرأ القرآن يجب عليك أن تتعرف على أسمائه وصفاته وأفعاله، من هم أوليائه من هم أعداؤه.. إلى آخر ما يجب علينا ونتفق عليه.

قبل أن نبدأ في الطريقة سنبدأ بمقدمة فيها خمس مسائل، الظاهر أن هذه الخمس المسائل ستشغل يومنا كله إن شاء الله في آخر الوقت فقط أشير ماذا يجب عليكم أن تفعلوا إلى غد، وبعد ذلك غداً سنشرح نفس الطريقة.

مقدمة فيها خمسة مسائل:

المسألة الأولى: إن الإيمان بالكتب التي أنزلها الله عزّ وجلّ ومنها القرآن الكريم أحد أركان الإيمان الستة.

بمعنى وأنت تعاملين كتاب الله سنعود إلى الوراء ونناقش إيماننا الذي هو مبدأ إحساننا، فلا تتعاملين مع القرآن كأنه أي كتاب، القرآن هذا له حقوق، قبل أن تتعاملين معه عليك أن تعتقدي أن معاملتك معه من أحد أركان الإيمان الستة، يعني إيمانك بالله يستوجب عليك إيمانك أن هذا كلام الله، أن هذا كتاب الله، أن هذا الكتاب له صفات، علينا دائماً أن نراجع الصفات صفات القرآن.

إذن أول أمر نتفق عليه أن الإيمان بالكتب التي أنزلها الله عزّ وجلّ ومنها القرآن الكريم أحد أركان الإيمان الستة التي يُطلب منا الإيمان بها، يعني معرفة حقائقها والتصديق بها، يعني يكون في قلبنا مشاعر مختلفة تجاه كتاب الله (تجاه الكتب).

الآن ننظر للآية ونرى ماذا يجب علينا أن نفعل تجاه كتاب الله عزّ وجلّ، هذه الآية في سورة النساء تصف لنا موقفنا من الإيمان، والله يخاطب من؟ قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلٰى رَسُولِهِ ءَ

وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا
بَعِيدًا^١.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني الخطاب ليس لأهل الكفر إنما لأهل الإيمان، نسأل الله من فضله أن نكون من أهل الإيمان
هذا الخطاب لنا، يقول الله فيه ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ آمنوا وانتهى الأمر، ماذا يجب عليكم أن تفعلوا؟ ﴿ءَامِنُوا﴾ إذا
معناه: أننا نحتاج دائمًا ماذا؟ زيادة الإيمان، نحتاج دائمًا التفتيش عن إيماننا، نحتاج دائمًا أن نسأل أنفسنا ما مكان القرآن في
قلوبنا؟ أو ما مكان الأمور التالية التي سنجدها في الآية.

عدّوا معي.. أمرنا أن نؤمن بأي شيء؟

١. ءَامِنُوا بِاللَّهِ

٢. ورسوله

٣. وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ

٤. وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ.

فالمطلوب منا نؤمن بالقرآن ونؤمن أن الله أنزل كتب سابقة، إذا ماذا يجب علينا ونحن مؤمنين؟

طلب زيادة الإيمان، نؤمن بالله، بالرسول، بكتابنا الذي هو القرآن وبالكتب السابقة التي نزلت على الأنبياء السابقين.

إذا اتضح هذا الأمر بقي علينا أن نأخذ الوسائل التي ونحن مؤمنين نزيد بها إيماننا بهذه الأمور التي ذكرت في الآية، يعني وأنت
مؤمن عليك أن تطلب زيادة الإيمان، لا أحد يقول لنفسه: ترى هذا الكلام يخاطب به غير المؤمن، يعني أقول لك آمن
بالكتاب، تقول أنا مؤمن! نقول وأنت مؤمن تخاطب بماذا؟ بالأمر بالإيمان ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ﴾ معناه أننا
في كل زمن مطلوب منا زيادة الإيمان، وأن نفتش عن هذا الإيمان في قلوبنا.

قابل هذا (ننظر للشق الثاني من الآية) ماذا يقول الله عز وجل؟

^١ [النساء: ١٣٦]

﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ ﴾ يعني سيقابل الإيمان ماذا؟ الكفر، يكفر بماذا؟ ﴿ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ

ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾

إذن نحن أمام أمرين:

إما أن يؤمن الإنسان بهذه المسائل، وإما أن يحصل الكفر بأحد هذه المسائل، فإذا حصل الكفر بأحدها، ضل ضلالاً بعيداً.

أنت ماهو المطلوب منك؟ أن تؤمن بالله، ملائكته، كتبه، رسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره - كما ورد في الحديث - إذا هذه أول مسألة يجب أن نتفق عليها، وأنت مؤمن يطلب منك زيادة الإيمان - أن تزيد إيمانك -، الحمد لله.

ورد في حديث جبريل ماهو الإيمان؟ ((أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ))¹ إذا هذا

مطلب واضح وعلينا أن نبتدئ بها، كأننا سنفتش في نفوسنا: هل أنا مؤمن بالكتاب؟

ما معنى أن أكون مؤمن بهذا الكتاب وبالكتب السابقة؟ هذا هو السؤال، ما معنى أن أؤمن بالكتاب؟

هذا هو سؤالنا الذي علينا أن نفتش عن الإجابة عليه، الإيمان معلوم بأنه بمعنى التصديق، والإيمان الشرعي يزيد عن التصديق بأنه تصديق جازم، تصديق جازم يقيني بما أتاك من أخبار.

السؤال: أؤمن بالكتاب، ماذا يعني؟ تصدقي ما جاء به من أخبار؟ أو تصدقي بأي شيء؟ هي عملية طويلة، أولاً أصدق أن الله تكلم به، أصدق أن هذا كلام الله، وأنت تقرئين الكتاب يجب أن يكون قلبك ممتلئ شعوراً:

✦ أن الله عزّ وجلّ يخاطبك

✦ الله عزّ وجلّ يحكي لك قصة موسى

✦ الله عزّ وجلّ يحكي لك ما حصل مع نوح

✦ الله عزّ وجلّ يحكي لك ما سيكون ثواب المؤمنين

✦ الله عزّ وجلّ يحكي لك ما يكون عقاب الكافرين

✦ الله عزّ وجلّ يخاطبك

¹ متفق عليه.

فهذا رأس الإيمان، رأس الإيمان بالقرآن أن تكون على يقين أنه كلام الله الذي يخاطب به عباده.

إذاً ما معنى أن تكون مؤمن بكتاب الله إجمالاً؟

التصديق بأن هذا كلام الله الذي يخاطب به عباده، وتصديق أن كل قراءة لك في هذا الكتاب عبادة، قرينة، فتتعبدين الله بقراءته.

ماذا يعني أن تؤمن بالكتاب؟ حتى لو ما كان الكتاب بين يديك وتقرأه، هذا من أركان الإيمان الذي يجب أن يكون مستقرّاً في الوجدان، فما أن تسمعي كلمة القرآن إلا ويكون هذا أمام عينيك. أن هذا كلام الله الذي خاطب به الخلق، وأراد به إصلاح الخلق وإيصالهم إليه، وتقريب طريقهم من الطريق المستقيم، هذا الذي يكون في قلبك، هذا معنى إيمانك، هذا الإيمان المجمل، سيأتينا بعد ذلك الكلام عن الإيمان المفصل.

يعني الإيمان المجمل: تؤمن أن هذا القرآن كلام الله المتعبد بتلاوته، فتقرأه وأنت ترى أن هذه عبادة، أما الإيمان المفصل فهذا الآن مطلوب منكم إلى غدٍ أن تجمعوا الإيمان المفصل، سنضع نقطة وأنتم اجثوا عنها.

كل وصف في القرآن للقرآن هذا من الإيمان المفصل، يعني مثلاً: وصف القرآن مثلاً أنه شفاء، أنه هدى، أنه رحمة، ماهو المطلوب منك؟ تؤمن أنه بهذه الصورة، تصدق تصديقاً يقينياً.

فالمطلوب منكم الآن إلى غدٍ أن تأتوا بوصوفات القرآن، وصوفات القرآن ليست واحدة أو اثنين أو أربعة، ما تستطيعونه من وصوفات تأتون به، مع الشواهد، هاتي الاعتقاد التفصيلي من كتاب الله، لا تبحتي إلا في كتاب الله، كثير من مطالع السور التي فيها الحروف المقطعة ستجدين فيها أوصاف للقرآن، يعني لو تدارسنا أربعة خمسة أوصاف، وصارت في قلوبنا عقيدة، خير وبركة الحمد لله، أسأل الله عزّ وجلّ أن يجعل القرآن العظيم حقاً ربيع قلوبنا، اللهم آمين.

وأنت تقرئين الوصف لازم تسألين نفسك (هل هذا الذي أعتقده في القرآن؟).

الإيمان ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ماذا؟ ﴿ءَامِنُوا﴾ بمن؟ كما ورد في الآية ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ ما معنى هذه الآية؟ وأنت مؤمن ما معنى أن تؤمن بالكتاب الذي نزل على رسوله؟

أما الإيمان الإجمالي فهنا أصدق يقيناً أن هذا القرآن هو كلام الله الذي تكلم به الله، وخاطب به خلقه، وأتعبد الله بتلاوة هذا الكتاب، أعرف أن هذا الكتاب قراءته عبادة أتقرب بها إلى الله، هذا الإيمان الإجمالي.

الإيمان الإجمالي وراءه إيمان تفصيلي، الإيمان التفصيلي هذا كلما زادت علاقتك بالقرآن، وجب عليك الإيمان التفصيلي، يعني لا يقارن شخص يرتاد مدارس التحفيظ ويرتاد الدروس وفي المدينة وفي مكان العلم ويزيد الأمر في مكة، بشخص في البادية، شخص في البادية نقول له يجب عليك أن تؤمن أن هذا كلام الله المتعبّد بتلاوته، وأنت تقرأ القرآن وتعرفه، الإيمان التفصيلي يلزمك، فكل وصف في القرآن وصف الله به القرآن عليك أن تؤمن أن هذا وصفاً حقيقياً للقرآن.

إِذَا ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا﴾ إلى أن وصلنا ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ هذا مطلوب منك أن تؤمن إيماناً إجمالياً ومن ثم تؤمن إيماناً تفصيلياً، فلو وقع هذا الإيمان أن الله هو الذي يكلمنا نظرنا أصلاً للقرآن ستكون مختلفة، فلن تأتينا الجرأة بأن نقول هذه السورة صعبة! لن تأتينا الجرأة بأن نقول (هذه الآيات لحبطني!)، لن تأتي للحفظ الذين جلسوا وتركوا بيوتهم من أجل كتاب الله لن تأتي الجرأة وتقول (أنا أحس أن هذه السورة ما بيني وبينها علاقة!) هذه الكلمات مصائب!

لكن لماذا حدثت هذه الكلمات؟ لأن كل هذه المقدمة ليست موجودة، على طول من الباب إلى الحفظ مباشرة، ما أمنتك؟ أحفظ القرآن، ماهو القرآن في قلبك أصلاً؟ أو أنك عشت مع القوم سمعتهم يقولون فقلت كما قالوا! لأن هناك خطر عظيم لما يُضرب بينهم بسور له باب سينادوهم ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ كنتم معنا تقرؤون الكتاب وتحفظونه وتفعلون كل أفعال المؤمنين ﴿وَلَكِنَّكُمْ فُتِنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾.

فالمقصود أن قبل ما ندخل في تفاصيل التعامل مع القرآن (ماهو القرآن في قلبك؟) ولهذا يشتكي ناس كثيرين من أنهم من بعد رمضان الذي كان فيه تلاوة القرآن وكان الحرص والمنافسة على تكرار الحتمات، والبرامج التي كانت عن طريق وسائل الاتصال في تكرار الحتمات، ماذا حصل؟ كأنه لم يكن! فهذا طبعاً له سبب، وسببه الرئيسي عقيدتنا في القرآن ضعيفة، لما تسمع القرآن ما تشعر أنه بشري، ما في هذه المشاعر، ماتشعر أنه رحمة، إنما هي كلمات نقرأها بدون ما يكون في الوجدان

اعتقاد اتجاهها، إلا أن الاعتقاد الإجمالي الحمد لله موجود، نحن نقول كلما زادت علاقتك بالقرآن، وجب أن يكون الاعتقاد التفصيلي موجود.

انتهينا من المسألة الأولى وهي: أنه يجب علينا أن نؤمن بالقرآن وهو ركن من أركان الإيمان الذي عليه يبنى دينك، فلا تتجاهل عقيدتك في القرآن، دينك يبنى على هذه العقيدة.

المسألة الثانية: أن القرآن الكريم هو خاتم هذه الكتب والمهيمن عليها

تؤمن أن الله عزّ وجلّ أنزل كتباً سابقة للقرآن ذكر ما ذكر منها في القرآن وكثير منها لم يذكر، تؤمن أن التوراة كانت لليهود، والإنجيل كان للنصارى، وتؤمن أن هناك صحف لإبراهيم. هذا الأمر نؤمن به على وجه الإجمال ونعلم أنه نزل في القرآن ما يدلّ على وجود هذه الكتب، ونعلم أن الذي بين يديهم ليس هو الإنجيل المذكور في القرآن والذي بين يديهم ليس هو التوراة المذكورة في القرآن. لكننا نؤمن أن هناك توراة وإنجيل، وبقي أن نقول: أن التوراة والإنجيل والكتب السابقة فيها نفس أصول العقيدة التي في ديننا، لا يمكن أن تكون متناقضة، وفيها الأعمال وإن اختلفت الشرائع، لكن العبادات مثل الصلاة مثل الصيام مثل الحج هذه كلها عبادات مشتركة وقد ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن مثلاً مسجد الخيف أنه صلى فيه سبعون نبياً، وأخبر أنه كأنه ينظر إلى موسى صلى الله عليه وسلم وهو قد بُحّ صوته من التلبية، وكان ينظر إلى يونس ابن مائة وعليه جبة حمراء، هذه كل الأخبار تدلنا على ماذا؟ على أن حتى العبادات ما بها؟ مشتركة، إنما الشرائع هي التي تختلف.

إذا اعتقدنا هذا الاعتقاد إذاً ما هو القرآن بالنسبة للكتب السابقة؟ نحن نعترف بالكتب السابقة، نعلم أن هناك توراة وإنجيل وكتب، لكن ماذا يعتبر القرآن بالنسبة للكتب السابقة؟

القرآن هو خاتم هذه الكتب والمهيمن عليها، فإذا أتت دعوى من هنا أو من هنا، أو على لسان هذا أو هذا، أن هذه كلها كتب سماوية والمطلوب منا أن نسلّم لها، تعرف ما هي عقيدتك، ما تأتي لحظة يحصل عندك اختلال في هذه العقيدة.

ما تصورك تجاه مهيمن عليها؟ مهيمن كلمة غير مصدق، نقرأ آية المائدة ونرى الفرق بين مصدق ومهيمن:

قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾^١.

أول وصف للكتاب: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾.

الوصف الثاني: ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ يعني الكتب السابقة هذا الكتاب يصدقها ، أو بالعكس: الكتب السابقة تصدق هذا الكتاب، هذا معنى مصدق.

الوصف الثالث: ﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ يعني القرآن أمين على الكتب المتقدمة قبله، فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه منها -يعني في الكتب السابقة - فهو باطل.

اعرض الكتب السابقة، القرآن يحكم عليها، ما وُجد في الكتب السابقة موافق للقرآن فهو حق، ما وُجد في الكتب السابقة مخالف للقرآن فهو باطل.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "المهيمن يعني الأمين والشاهد والحاكم على من قبله من الكتب".

إذا ما هي عقيدتك؟ نعتقد أن القرآن مهيمن على الكتب السابقة، هل تنكرون أن هناك توراة وإنجيل؟ لا أبداً، هل كل ما هو موجود بين يديهم في التوراة والانجيل صحيح؟ نقول لا، ربنا وربكم، ربنا الذي أنزل القرآن، هو ربكم الذي أنزل التوراة والإنجيل، فربنا الذي أنزل القرآن وحفظه بحفظه جعل القرآن حاكماً على التوراة والانجيل، فالقرآن ليس لجنس إنما لكل من أسلم لله، والتوراة والإنجيل عبثت به الأيدي فأتى القرآن حاكماً عليه مهيمناً عليه، هذه العقيدة يجب أن تتضح في قلوبنا، تتضح في أذهاننا، تتضح لذرارينا لأولادنا الذين تتخطفهم الفتن في كل مكان.

هذه المصائب التي يحملونها في أيديهم وتذهب بهم إلى آخر العالم، لا تظنوا أن الفحشاء والمنكر من جهة المعاصي هي فقط المصيبة، طبعاً هذه المصيبة عظيمة لكن هناك مصيبة أعظم منها وهي عقيدة هؤلاء الأبناء، عقيدة أبناءنا التي ما حرصنا على بنائها وحرص غيرنا على التشكيك فيها، فأصبح هذا الشخص مذذب، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، وتكون غاية آمال كل الأمهات مستقيمة تحب الدين لكن غاية آمالها أن يحفظ القرآن، ويحفظ القرآن ثم تراه هو الذي يطعن في القرآن! وهذا طبعاً أمر واضح، لما تريد أن تزرعي زرع ولم تطهري الأرض، ولم تسقي هذا الزرع بما ينبغي من سقيا، سقيته كما اتفق، ولم تطهر

^١ [المائدة: ٤٨]

الأرض، أته الآفات من كل مكان، فأصبح في الصورة كأنه زرع وفي الحقيقة حاوي، وربما كان حنظلًا، أخرج مَرُّ الثمار، فسأل الله أن يحفظ ذرارينا ويغفر لنا تقصيرنا، لازم نعترف بتقصيرنا.

يعني نحن جيل بين جيلين، الجيل الذي كان ضعيفًا في قدراته المادية قويًا في تعلقه بربه عقيدته قوية كانوا يعرفون أن الأرزاق ما تأتي إلا من الرزاق، كانت قلوبهم ليست معلقة لا بآخر الشهر ولا بالبنوك ولا بالصرافات، فأنشؤوا جيلًا قويًا في عقيدته، نشأنا ظننا أن هذه العقيدة أتت كما اتفق - كذا يعني -، أنها تورث، خرج أبناءنا ما فعلنا معهم شيء، ما بذلنا جهودنا في عقيدتهم، وزاد التفاخر فصار حتى المستقيم كل قصتهم أن يبرزوا ولدهم حافظ، يبرزوا ولدهم مطلق اللحية مقصر الثوب، تبرز بنتها ولا بسة كذا أو فاعله كذا.. الظاهر! فجمعنا عليهم مصيبتين: لا بنينا عقائدهم، ودرناهم على أنه أهم شيء (ماذا يقولون الناس؟) ألبس زي الناس كُمل زي الناس، كل شيء الظاهر، فتدربوا على الرياء، حتى لما يحفظون القرآن تحت مائة ألف وعد (سنزفك، وسنفعك لك ونفعك لك..). كل هذا من أجل ماذا؟ من أجل أن أحثها على فعل أمر شرعي وما في ترغيب بالآخرة.. ثم نقول ترى ما يترغبون بالآخرة! طبعًا فالذي يتدرب على أن يترغب دائمًا بالدنيا ما عاد يفيد فيه الترغيب بالآخرة، فجمعنا عليهم بلاءات نسأل الله أن يغفر لنا تقصيرنا ويصلحهم ويربيهم هو الذي يربينا ويربيهم، ما لنا إلا الدعاء أن يصلحهم ويحفظهم من هذه البلاءات المنتشرة في كل مكان. اللهم آمين!

المسألة الثالثة: لما أنزله تعالى كان مما أوحاه تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم -ولأمته من بعده:

﴿ لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۖ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۗ (١٧) فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَحْ بِرَأْسِهِ ۗ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۗ ﴾^١

لما أنزل الله تعالى القرآن كان مما أوحاه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولأمته من بعده هذه الآيات العظيمة التي في سورة القيامة.

نقرأ هذه الآيات بشيء من التفكير والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، ومنه سيتبين لنا منهج.. ماذا يقول الله عز وجل لنبيه في موقف الوحي؟

^١ [القيامة: ١٦ - ١٩]

﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ لأي شيء؟ ﴿لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ثم يعده وعودًا ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾، إن علينا: يعني هذا وعد من من؟ من الله لنبي صلى الله عليه وسلم، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانْبَعِ قُرْآنَهُ﴾ (١٨) ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾.

سمعنا أن على الله وعد أن يجمعه في قلبه وأنه أيضًا يبينه، لابن كثير وللبلغوي كلام جميل في تفسير هذه الآية:

"هَذَا تَعْلِيمٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كَيْفِيَّةِ تَلْقِيهِ الْوَحْيِ مِنَ الْمَلِكِ، فَإِنَّهُ كَانَ يُبَادِرُ إِلَى أَخْذِهِ، وَيُسَابِقُ الْمَلِكَ فِي قِرَاءَتِهِ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا جَاءَهُ الْمَلِكُ بِالْوَحْيِ أَنْ يَسْتَمِعَ لَهُ، وَتَكْفَّلَ لَهُ

➤ أَنْ يَجْمَعَهُ فِي صَدْرِهِ

➤ وَأَنْ يُبَيِّنَهُ لِأَدَائِهِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَلْقَاهُ إِلَيْهِ

➤ وَأَنْ يُبَيِّنَهُ لَهُ وَيُفَسِّرَهُ وَيُوضِّحَهُ.

انظر مرة أخرى للكلام وكأننا نفعل لأنفسنا منهج: الملك يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم ، النبي صلى الله عليه وسلم من حُبِّه يُسابق، يُنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن المسابقة، ماذا سيكون ماهو المطلوب؟ استمع، واعلم أن الله ييسره عليك لو كنت مستمع كما ينبغي، وكما ييسره لك في الحفظ، على الله أن ماذا؟ أن يبينه ويفسره ويوضحه.

نكمل كلام الشيخ..

"فَالْحَالَةُ الْأُولَى جَمْعُهُ فِي صَدْرِهِ، وَالثَّانِيَةُ تِلَاوَتُهُ، وَالثَّلَاثَةُ تَفْسِيرُهُ وَإِبْصَاحُ مَعْنَاهُ؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ أي: بِالْقُرْآنِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^١.

بهذه الآية اتفقنا أن العجلة مذمومة في التعامل مع القرآن، يعني من بداية الكلام نتفق أن كل البرامج التي تُطرح لحفظ القرآن في مدد قصيرة، تدخل في هذا النهي.

"ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ أي: فِي صَدْرِكَ، ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ أي: أَنْ تَقْرَأَهُ، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ﴾ أي: إِذَا تَلَاهُ عَلَيْكَ الْمَلِكُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ﴿فَانْبَعِ قُرْآنَهُ﴾ أي: فَاسْتَمِعْ لَهُ، ثُمَّ اقْرَأْهُ كَمَا اقْرَأَكَ.

^١ [طه: ١١٤]

هذا معناه أن الاستماع شأنه عظيم، يعني كأنه من الأدوات المهمة للحفظ والفهم أنك ماذا تفعل؟ تستمع القرآن، كما تتلوه ماذا تفعل؟ تستمع.

﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ أَي: بَعْدَ حِفْظِهِ وَتِلَاوَتِهِ نُبَيِّنُهُ لَكَ وَنُوضِّحُهُ، وَنُلْهِمُكَ مَعْنَاهُ عَلَى مَا أَرَدْنَا وَشَرَعْنَا^١.

وهكذا أتت السنة إلهامًا من الله وعطية يفهم بها النبي صلى الله عليه وسلم القرآن.

إذن ما هو المطلوب منا؟ يعني الله يعلم النبي ويبيّن له المعاني، ونحن ماذا سنفعل؟ سنسير على نفس الطريقة (ما نتعجل، نقرأ، نستمع، وأيضًا نبحث عن بيانه)، يعني هذا ليس أمرًا خارجًا أو زائدًا، وليس هو المقصود إنما هذا من المقاصد، يعني من المقاصد أن تسمع، تحفظ، تفهم. هذه كلها مقصودة، فلا يمكن أن يناقض الحفظ الفهم، متى سيناقض الحفظ الفهم؟

لما يكون عندي عجلة يصير صعب علي أن أحفظ وأفهم، وقد كان بداية الكلام أن التعامل مع القرآن ممنوع فيه العجلة، إذًا إذا أخرجنا عامل العجلة أصبح خطة أن أحفظ وأفهم يسيرة واضحة ما فيها أي مشكلة، ما تصبح في مشكلة إلا إذا دخل علي عامل العجلة، وأنت تعبد الله طول ما أنت تحفظ وتفهم.

يعني الفهم مقصد، كما أن حفظ القرآن في الصدر مقصد، لكن لو سألنا: أي المقصدين أعظم في حقنا؟ ما هو رأيكم؟

الفهم طبعًا؛ لأن الفهم هذا هو الذي سيقودك للعمل، وسيبيّن لنا من خلال الأدلة أنه حتى المناقح يحفظ، فلا يغرك الحفظ، وأنتم تعلمون أن كثير من المستشرقين قد حفظوا كتاب الله، ولم يدخل كلمة في فؤادهم ولم ينتفعوا به! إنما استعملوه ليضربوا به المسلمين، فلا تظنوا أن الحفظ مقصد إنما الحفظ وسيلة لبقاء المعاني في ذهنك، يعني الحفظ وسيلة لبقاء المفهوم في ذهنك، فأصبح المقصد الأساسي أن تفهم فتعمل، والحفظ لا بد منه وسيلة.

يعني مثلًا: لما تشعر بالضيق وتقرأ ﴿ طه ١ ﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ٢ إِلَّا نَذْكِرَ لِمَنْ يَخْشَى ٣ تَنْزِيلًا

﴿ مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴾^٢ وأنت في ضيقك في طريقك أو في أي مكان، الحفظ ماذا فعل لك؟ جعلك تردّد

الآيات فينشرح صدرك بالمعاني التي تفهمها، فأصبح الحفظ وسيلة نافعة، تنفع الإنسان خصوصًا في المضائق.

^١ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم

^٢ [طه: ١ - ٤]

كثير منكم يعلم أو مرت عليه مواقف - خصوصاً الناس الذين تقدّم بهم العمر - أن ربما أشخاص غير حافظين لكتاب الله لكن كانوا يسمعون، ولما تأتي الأزمات والضيق وربما لحظة القبض، تلووا من كتاب الله ما أنت تعلم أنهم لم يكونوا حافظين له! إلا أن هذا رزق من عند الله عزّ وجلّ لمن امتلأ قلبه إيماناً وتقوى، فنسأل الله عز وجل أن يملأ قلوبنا بالإيمان والتقوى.

إدًا: المسألة الأولى: اعتقادنا أن في القرآن والكتب السابقة.

والثانية: أن القرآن مهيمن عليه.

والثالثة: أن الله لما أنزل القرآن أمر رسوله بهذه الأوامر.

نأتي إلى الرابعة: والرابعة هذه مؤيدة لثالثة وفيها زيادة بيان.

المسألة الرابعة: أمر الله عبادَهُ بِتَدْبُرِ الْقُرْآنِ، ونهاهم عَنِ الْإِعْرَاضِ عَنْهُ، وَعَنْ تَفْهَمِ مَعَانِيهِ الْمُدْكَمَةِ وَأَلْفَاطِهِ الْبَلِيغَةِ، وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ وَلَا اضْطِرَابَ، وَلَا تَضَادَّ وَلَا تَعَارُضَ

يعني نهاهم عن الأمور التالية:

- نهاهم عن الإعراض عن القرآن
- ونهاهم عن الإعراض عن تفهم معانيه.

والآيات كثيرة ومشهورة في ذلك منها قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا

كثيراً ﴾^١ هذه آية النساء أتت في سياق الكلام عن المنافقين الذين ضعف إيمانهم ثم ذهب واضمحل ﴿ ءَامَنُوا ثُمَّ

كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ﴾^٢ فالله يقول لهم ماذا؟ ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾^٣ المعنى: أنهم لو تدبروا القرآن لاستقر

الإيمان.

إذن علينا أن نفهم أن هناك علاقة وطيدة بين تدبر القرآن وثبات الإيمان.

^١ [النساء: ٨٢]

^٢ [النساء: ١٣٧]

كل الآيات التي فيها خطاب بالعتاب على مسألة التدبر أتت إما للمنافقين إما للكافرين، والسبب أن أهل الكفر وأهل النفاق هم الذين لا يتدبرون، وعدم تدبرهم سبب في عدم إيمانهم أو سبب في ضعف إيمانهم.

فإذا شخصنا حالة المجتمع اليوم الذي يموج في الفتن، سنجد الوصف اللائق بكل الحالة التي نعيشها كلمة واحدة **ضعف الإيمان**. السبب: الإعراض عن القرآن.

لكننا لو رأينا في الواقع أن مدارس التحفيظ في العالم الإسلامي - في المملكة خاصة والعالم الإسلامي عمومًا - بلغت حد لم تبلغه في كل القرون التي مضت، يعني أعداد الخلوات والمعلمين والمعلمات والمدارس والمنشآت ما بلغت في أربعة عشر قرن سابقة! هذا على مستوى العالم الإسلامي، طيب هذا أمر محير، هذا العدد العالي مع ضعف الإيمان الظاهر! السبب عدم التدبر، العجلة، تحوّل القرآن للتأكل! وسيأتينا نصوص تبين هذا الأمر.

وصف الله عزّ وجلّ أن القرآن ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^١ وهذا كله يدلنا على أي شيء؟ يدلنا على وجوب التدبر والتدبر هو الذي يأتي بالإيمان، واسمعي جندب رضي الله عنه كيف يصف حاله وهم غلمان حزاورة - يعني لم يبلغوا بعد -.

عَنْ جُنْدُبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: "كُنَّا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غِلْمَانًا حَزَاوِرَةً، تَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا"^٢.

المعنى: أن الإيمان الإجمالي موجود في قلوبهم، ثم أتت آيات القرآن تزيد هذا الإيمان الإجمالي.

يعني قبل أن يكون هدفنا أن نحفظهم القرآن

✦ علينا أن نصبّ في قلوبهم الإيمان

✦ علينا أن نعلّمهم عن الله وكمال صفاته

✦ علينا أن يكون ذكر حكمة الله رحمة الله لطف الله عطاء الله رزق الله، يكون متكرر في اليوم والليلة، ينشأ يفتح

عينه وهو يسمع هذا الكلام

^١ [فصلت: ٤٢]

^٢ التفسير من سنن سعيد بن منصور

✦ علينا أن تكون الملائكة العظام أحد الأمور المهمة التي يتكرر الكلام عنها وعن علاقتنا بها، ما أمنتك؟ أن أكون من أولئك القوم الذين تتلقاهم الملائكة وتقول لهم لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا.

أين أبناءنا وهذا الكلام؟ أين تمنيتهم؟ أين علاقتهم بالملائكة؟ أين علاقة أبناءنا بالرسول العظام؟ وكل يوم نتباكى أننا لا نجد قدوات! وأولادنا لما ما استفدنا مما خلقهم الله به؛ لأن الأبناء يحتاجون قدوات، ليس شرط أن تكون مشخصة أمامهم، عندهم من الخيال ما يسمح لهم بأن يؤمنوا بالغيب. فتقول لهم إبراهيم عليه السلام وهذه مواقفه وهذه شجاعته وفعل كذا، وكان مع النمرود كذا وفعل كذا، وقف كذا وقال كذا لقومه، وفكر وتنزل معهم وقال لهم هذا الذي فعل بل هذا، إبراهيم عليه السلام ومواقفه العظيمة وهو إمام الموحدين أين هو؟! لما غاب إبراهيم عليه السلام عن الآباء والأمهات احتل بدل عنه في نفوس أبنائنا هذه الشخصيات التافهة التي هي عبارة عن حرب على الإسلام، وهي عبارة عن مجرد كرتون أو مجرد أشياء خيالية بعيدة ليست مشخصة أمامهم.

فلا تظن أن القدوات شرط أن تكون أمامك، إن من اعتنق الشيوعية في الزمن اندفنت في الشيوعية، إنما جعل (ستالين ولينين) أمام عينيه وقرأ عن تاريخهم وتمثلهم وسار وراءهم وهم غير موجودين كأشخاص! فإذا أين إيماننا بالملائكة؟ أين إيماننا بالكتب بالرسول؟ أين هو حتى نبته في نفوس أبنائنا ثم نحفظهم القرآن "تعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن"، فلما أنا الأم أو الأب أتدبر القرآن وأفهم، أعرف ماهي المقاصد ما هي الأركان التي يجب أن أبنئها في أبنائي ثم إذا حصل هذا، يأتي القرآن وقت الحفظ يزيد هذه الأمور المبنية بناءً وثباتاً، ويحصل من الأبناء التدبر فيزيد البناء الذي ابتدأت به.

إذا تدبروا القرآن سيكون القرآن سبب في إيصالهم إلى المطالب العالية والمواهب الغالية، ويكون القرآن مبيّن لهم الطريق الموصلة إلى الله وإلى جنته، سيعرفون الطريق، ما يفسد عليهم طريقهم، ولا تتخطفهم الفتن، سيعرفون الطريق الموصلة إلى الله وإلى جنته ومكملاتها ومفسداتها، والطريق الموصلة للعذاب وبأي شيء تُحذر، لو تدبروا القرآن سيعرفون رهم بأسمائه وصفاته وإحسانه إلى خلقه، لو تدبروا القرآن لشوّقهم القرآن إلى الثواب الجزيل، ولرهبهم من العقاب الويل.

والله عزّ وجلّ وصف من قام بحقه سماه ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أي أولوا العقول الصحيحة يتذكرون بتدبرهم له كل علم ومطلوب، فدلّ هذا أنه بحسب لبّ الإنسان وعقله يحصل له التذكر والانتفاع بهذا الكتاب.

المسألة الخامسة: يبين صلى الله عليه وسلم في سننه وهديه أحوال الناس مع القرآن.

بين أحوالهم من جهة تدبرهم وعدم تدبرهم، فالحديث المشهور حديث أبو موسى الأشعري الذي فيه ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرُجَةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَرِيحُهَا طَيِّبٌ)).^١

والثاني: ((وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ)) إما لعدم علمه به وإما لبعده، كما تعرفون بلاد المسلمين منتشرة فيها الأعاجم في الأعراب الذين لا يفقهون، مؤمن لا يقرأ القرآن لسبب يخصه ما وصفه؟ ((كَمَثَلِ التَّمْرَةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَلَا رِيحَ لَهَا)) لكن في النهاية طيبة بسبب الإيمان، إذا إيمان مع القرآن أترجه، إيمان بدون القرآن تمرة، لكنه طيب.

نأتي للمنافق: يقرأ القرآن المنافق؟ نعم يقرأ ((وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرِّيحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ)) من الخارج ريحها طيب، لكن طعمها مر لما في داخله، ((وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، طَعْمُهَا مُرٌّ، وَلَا رِيحَ لَهَا)).^٢

الفائدة العظيمة التي خرجنا بها: أن الإيمان يؤثر على قراءتك للقرآن، إذا معك إيمان وتقرأ القرآن تصبح مثل الأترجة، فالأترجة ليست لمجرد قراءة القرآن، إنما الأترجة للإيمان الموجود في القلب مع قراءة القرآن؛ لأن كثير ما يتداول هذا الحديث بدون ملاحظة أن القضية حول الإيمان، الملاحظة حول القراءة.

قال السندي: "فِيهِ تَشْبِيهُ الْإِيمَانِ بِالطَّعْمِ الطَّيِّبِ لِكُونِهَا خَيْرًا بَاطِنِيًّا لَا يَظْهَرُ لِكُلِّ أَحَدٍ وَالْقُرْآنُ بِالرِّيحِ الطَّيِّبِ يَنْتَفِعُ بِسَمَاعِهِ كُلُّ أَحَدٍ وَيَظْهَرُ بِمَحَاسِنِهِ لِكُلِّ سَامِعٍ".^٢

الآن المؤمن الذي يقرأ القرآن كالأترجة، باطنه طيب وطعمه طيب، وهذا كما تسمعون كثيرًا عن طعم الإيمان، الطعم هو الذي في الداخل، والريح الذي هو في الخارج، فقراءة القرآن تأتي بالريح، والإيمان يأتي بالطعم، ولذلك دائمًا يقال: لا يذوق طعم الإيمان إلا من فعل كذا وكذا، فالإيمان طعم يذوقه الإنسان لا يظهر لكل أحد.

^١ "سنن ابن ماجه" (باب : في فَضْلِ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ / ٢١٤) قال الألباني: صحيح.

^٢ السندي، كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه

"والقرآن شُبَّه بالريح الطيب ينتفع بسماعه كل أحد ويظهر بمحاسنه لكل سامع"، يعني: شُبَّه الإيمان بالطعم لأن ليس كل واحد يرى الشيء يكون يؤكل، لكن لا يعرف أن طعمه طيب إلا لما تذوقه، الشم أسرع، كل أحد يشمه يستطيع أن يحكم على طيبه.

قال المناوي: "وطعمها مر: لأن النفاق كفر الباطن، والحلاوة إنما هي للإيمان فشبهه بالريحانة لكونه لم ينتفع ببركة القرآن ولم يفز بحلاوة أجره فلم يجاوز الطيب موضع الصوت وهو الحلق ولا اتصل بالقلب".^١

ولذلك الحديث المشهور ((قَوْمٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ))^٢.

معنى ذلك أن القرآن يقرؤه المؤمن والمنافق والفارق بينهما الإيمان الذي يزداد بقراءة القرآن

ففتش في نفسك القرآن لا بد أن يزيد إيمانك، إذا وجدت نفسك تقرأ القرآن وما تزيد إيماناً معناه أنه توجد مشكلة في إيمانك أو في قراءتك للقرآن.

وروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةَ مُمُؤِنٍ

وَمُنَافِقٍ وَفَاجِرٍ)) قَالَ بَشِيرٌ: فَقُلْتُ لِلْوَلِيدِ: مَا هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ؟ فَقَالَ: "الْمُنَافِقُ كَافِرٌ، وَالْفَاجِرُ يَتَأَكَّلُ بِهِ، وَالْمُؤْمِنُ يُؤْمِنُ بِهِ"^٣.

بشير ووليد هؤلاء رواة الحديث.

١. "المنافق: كافر" كافر من باطنه لا يؤمن، فيه شك في الإيمان ويقرأ القرآن، مع المجتمع لكن في داخله ما في يقين وإيمان، فهذا المنافق يقرأ القرآن وهو كافر.

٢. "والفاجر يعني صاحب المعاصي والكبائر ويقرأ القرآن- يتأكل به" لغرض دنيوي، وظيفة، عمل، مجرد ما لقي شي يفعل ويريد أن يصل لمصلحة الدنيا يتأكل به.

٣. "والمؤمن يؤمن به".

^١ المناوي، فيض القدير

^٢ "صحيح البخاري" (كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قول الله تعالى: { وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ }... / ٣٣٤٤).

^٣ رواه الحاكم في المستدرک وصححه الذهبي

إذن الحديث يقرأ القرآن ثلاثة: مؤمن ومنافق وفاجر ، المؤمن: معلوم يزداد إيماناً بقراءة القرآن ، المنافق: كافر ، والفاجر: هذا يتأكل به.

ونقل عن عيسى بن عمير النخوي أنه قال: "أقبلت حتى أقمت عند الحسن فسَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَرَأَ هَذَا الْقُرْآنَ ثَلَاثَةَ رَجَالٍ: فَرَجُلٌ قَرَأَهُ فَاتَّخَذَهُ بِضَاعَةً وَنَقَلَهُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، وَرَجُلٌ قَرَأَهُ فَأَقَامَ عَلَى حُرُوفِهِ، وَضَيَّعَ حُدُودَهُ يَقُولُ: إِنِّي وَاللَّهِ لَا أُسْقِطُ مِنَ الْقُرْآنِ حَرْفًا، كَثَّرَ اللَّهُ بِهِمُ الْقُبُورَ، وَأَخْلَى مِنْهُمْ الدُّورَ، فَوَاللَّهِ لَهُمْ أَشَدُّ كِبَرًا مِنْ صَاحِبِ السَّرِيرِ عَلَى سَرِيرِهِ، وَمَنْ صَاحِبِ الْمُنْبَرِ عَلَى مَنْبَرِهِ، وَرَجُلٌ قَرَأَهُ فَأَسْهَرَ لَيْلَهُ وَأَظْمَأَ نَهَارَهُ وَمَنَعَ شَهْوَتَهُ، فَجَثَّوْا فِي بَرَاتِنِهِمْ وَرَكَدُوا فِي مَحَارِبِهِمْ، بِهِمْ يَنْفِي اللَّهُ عَنَّا الْعَدُوَّ وَبِهِمْ يَسْقِينَا اللَّهُ الْعَيْثَ، وَهَذَا الدَّرَبُ مِنَ الْقُرَاءِ أَعَزُّ مِنَ الْكِبَرِيتِ الْأَحْمَرِ"^١.

"الحسن": يقصد البصري.

"فرجل قرأه فاتخذته بضاعة ونقله من بلد إلى بلد": يحفظه وينتقل من بلد إلى بلد ويتعلم الناس حوله فيصبح له مكانة.

"يقول إني والله لا أسقط من القرآن حرفاً": يعني تشدد في مسألة الحروف.

"كثر الله بهم القبور وأخلى منهم الدور!": يدعو عليهم أن يموتوا ويذهبوا ويخلصوا المسلمين من شرهم؛ لأنهم يتعاملون مع القرآن بأي معاملة؟ المعاملة التي لا تليق، وما أكثر هؤلاء!

"فوالله لهم أشد كبراً من صاحب السرير على سريره": يعني يقصد من الملوك والأمراء، أشد كبراً بما يحملوه من القرآن.

"ومن صاحب المنبر على منبره": يعني الخطيب الفصيح هم أشد كبراً منه.

كأنه يعلل دعاءه عليهم؛ لأنهم جمعوا بين مصيبتين:

١. أنهم ما أخذوا القرآن كما ينبغي

٢. وفي نفس الوقت يمارسون على الناس الكبر ويشددون عليهم ويضيقون عليهم، ويشعرون الناس أنهم هم المؤمنون

المتقين وكل الناس غيرهم لا يتقنون.

^١ الأجرى، أخلاق حملة القرآن

نأتي إلى الصنف الثالث قال: "ورجل قرأه فأسهر ليله وأظمأ نهاره ومنع شهوته" قرأه فأسهر ليله يعني قام الليل، وبسبب ما عنده من يقين بما هو موجود في القرآن وبالوعود صام ومنع شهوته.

"فجثوا في براثنهم وركدوا في محارهم" ما تجد هؤلاء من أهل الفخر والتعظيم والظهور، ويجمعون بين أن يحفظون ويحبون الدنيا ويعلقون الناس بهم، لا ليسوا هؤلاء، ما يحبون الدنيا ولا يدعون الناس إليها.

يقول عن هؤلاء الصنف الثالث يقول: "بهم ينفي الله عنا العدو، وبهم يسقينا الله الغيث"، يعني من صلاحهم.

كأننا نسأله: أين هم ما عددهم ما كثرتهم؟ قال: "وهذا الدرب من القراء أعز من الكبريت الأحمر!"، يعني ماذا؟ نادرين والله المستعان.

كلام الحسن البصري وهو من كبار التابعين مبني على ما رأى.

وهذه الحقيقة قد بينها لنا الرسول صلى الله عليه وسلم: ((يُخْرَجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُنْفَهَاءُ الْأَحْلَامِ،

يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ النَّاسِ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ)).

أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ: نبدأ بهذه الصفة أولاً: يعني شباب.

سُنْفَهَاءُ الْأَحْلَامِ: يعني ما عندهم نضج في تفكيرهم.

يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ النَّاسِ: يعني حافظين القرآن وحافظين الخطابة وقال الرسول.. إلخ .

يصف حذيفة أيضاً ما مر به ..

عَنْ حُدَيْفَةَ قَالَ: "لَيَقْرَأَنَّ الْقُرْآنَ أَقْوَامٌ يُقِيمُونَهُ كَمَا يُقَامُ الْقِدْحُ، لَا يَدْعُونَ مِنْهُ أَلْفًا، وَلَا يَجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ".

"يقيمونه كما يقام القدح" يعني في السهم يكون كأنه على المسطرة —بتعبيرنا—.

"كما يقام القدح لا يدعون منه ألفاء، ولا يجاوز إيمانهم حناجرهم"، يعني أن القرآن فقط على ألسنتهم.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: "إِذَا كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَدْ خَافَ عَلَى قَوْمٍ قَرَأُوا الْقُرْآنَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بِدِرَاهِمٍ إِلَى الدُّنْيَا فَمَا ظَنُّكَ بِهِمُ الْيَوْمَ؟!".

وَقَدْ أَخْبَرَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّهُ يَكُونُ أَقْوَامٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ يُقِيمُونَهُ كَمَا يُقِيمُونَ الْقِدْحَ، يَتَعَجَّلُونَهُ، وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ، يَطْلُبُونَ بِهِ عَاجِلَةَ الدُّنْيَا، وَلَا يَطْلُبُونَ بِهِ الْآخِرَةَ)).^١

معنى يتعجلونه في الدنيا إما الأجور وإما المكانة الاجتماعية وإما الظهور وإما أن يكتب في السيرة الذاتية إني حافظة وإني مجازة وإني كذا وإني كذا، ومثل هذا من الأمور التي تتصل بالعبادات يجب أن تكون خفية.

قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ فِيهِ تَأْوِيلَانِ:

"أَحَدُهُمَا: مَعْنَاهُ لَا تَفْقَهُهُ قُلُوبُهُمْ وَلَا يَنْتَفِعُونَ بِمَا تَلَّوْا مِنْهُ وَلَا هُمْ حَظُّ سِوَى تِلَاوَةِ الْقَمِّ وَالْحَنْجَرَةِ وَالْحَلْقِ إِذْ بِهِمَا تَقْطِيعُ الْحُرُوفِ.

يعني كل الذي يستفيدونه من القرآن أنهم يتكلمون به بألسنتهم.

وَالثَّانِي: مَعْنَاهُ لَا يَصْعَدُ هُمْ عَمَلٌ وَلَا تِلَاوَةٌ وَلَا تُتَقَبَّلُ".^٢

لا تتجاوز حناجرهم يعني لا يصعد إلى الله ولا يقبل منهم عمل.

^١ البيهقي، شعب الإيمان

^٢ السندي، كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه

عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: "كُنَّا صَدَرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَكَانَ الرَّجُلُ مِنْ خِيَارِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مَعَهُ إِلَّا السُّورَةُ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ شِبْهُ ذَلِكَ، وَكَانَ الْقُرْآنُ ثَقِيلًا عَلَيْهِمْ وَرَزَقُوا الْعَمَلَ بِهِ، وَإِنَّ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ يُخَفَّفُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ حَتَّى يَقْرَأَهُ الصَّبِيُّ وَالْأَعْمَى فَلَا يَعْمَلُونَ بِهِ".

قال الفضيل: إِنَّمَا أُنزِلَ الْقُرْآنُ لِيُعْمَلَ بِهِ، فَاتَّخَذَ النَّاسُ قِرَاءَتَهُ عَمَلًا؛ آخر شيء نفعه لنا قرآننا!.

ومعنى إنما أنزل القرآن ليعمل به: أي ليحلوا حلاله ويحرموا حرامه، ويفقوا عند مشايخه^١. ولا يكون هذا إلا بالتدبر.

ها هو الأجرى-رحمه الله- يصفهم لنا فيقول: "قَدْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي قَلْبِهِ، إِنْ فَاتَهُ مِنْهَا شَيْءٌ لَا يَحِلُّ لَهُ أَخْذُهُ، حَزِنَ عَلَى فَوْتِهِ لَا يَتَأَدَّبُ بِأَدَبِ الْقُرْآنِ، وَلَا يَزْحَرُ نَفْسَهُ عَنِ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، لَاهٍ غَافِلٌ عَمَّا يَتْلُو أَوْ يُتْلَى عَلَيْهِ، هَمَّتْ حِفْظُ الْحُرُوفِ، إِنْ أَخْطَأَ فِي حَرْفٍ سَاءَ ذَلِكَ؛ لِقَلَّ يَنْقُصَ جَاهُهُ عِنْدَ الْمَخْلُوقِينَ، فَتَنْقُصَ رُتْبَتُهُ عِنْدَهُمْ، فَتَرَاهُ مَحْزُونًا مَغْمُومًا بِذَلِكَ، وَمَا قَدْ ضَيَعَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ مِمَّا أَمَرَ بِهِ الْقُرْآنُ أَوْ نَهَى عَنْهُ، غَيْرُ مُكْتَرِتٍ بِهِ، أَخْلَاقُهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ أُمُورِهِ أَخْلَاقُ الْجُهَالِ؛ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ، لَا يَأْخُذُ نَفْسَهُ بِالْعَمَلِ بِمَا أَوْحَى عَلَيْهِ الْقُرْآنُ.

إِذَا دَرَسَ الْقُرْآنَ، أَوْ دَرَسَهُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ هَمَّتْهُ مَتَى يَقْطَعُ؟ لَيْسَ هَمَّتْهُ مَتَى يَفْهَمُ. لَا يَتَفَكَّرُ عِنْدَ التَّلَاوَةِ بِضُرُوبِ أَمْثَالِ الْقُرْآنِ، وَلَا يَقِفُ عِنْدَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، يَأْخُذُ نَفْسَهُ بِرِضَا الْمَخْلُوقِينَ، وَلَا يُبَالِي بِسَخَطِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يُحِبُّ أَنْ يُعْرَفَ بِكَثْرَةِ الدَّرْسِ، وَيُظْهِرُ حَتْمَهُ لِلْقُرْآنِ لِيَحْطَى عِنْدَهُمْ، قَدْ فَتَنَهُ حُسْنُ تَنَاءٍ مَنْ جَهَلَهُ يُفْرِحُ بِمَدْحِ الْبَاطِلِ، وَأَعْمَالُهُ أَعْمَالُ أَهْلِ الْجَهْلِ، يَتَّبِعُ هَوَاهُ فِيمَا نُحِبُّ نَفْسَهُ، غَيْرُ مُتَصَفِّحٍ لِمَا ذَكَرَهُ الْقُرْآنُ عَنْهُ"^٢.

وها هو الأجرى يصفهم لنا: يصف الذي يحفظ القرآن ويقراه وليس له نصيب في الفهم ويحاربك إذا فكرت في الفهم، ويقول لك ليس وقته الآن! خيلنا نخلص الحفظ!.

"حزن على فوته" يعني يحزن على فوت شيء من الدنيا. "لثلا ينقص جاهه عند المخلوقين" سيعيون عليه.

^١ الأجرى، أخلاق حملة القرآن

^٢ الأجرى، أخلاق حملة القرآن

"فتنقص رتبته عندهم!" ما يهتم للحلال والحرام الذي يتعداه في مفهوم الآيات، لكن إذا أخطأ في حرف وسينزل جاهه عند الناس يهتم ويهتم. المهم أن يكون له منزلة عند الناس، لكن يتعدى الحدود والحرمان لا بأس.

"وما قد ضيعه فيما بينه وبين الله بما أمر به القرآن أو نهي عنه غير مكترث به" يعني يخاف من تضييع الحرف، ما يخرج من مخرجه، ما يشكله كما ينبغي، ما يفعل كذا وكذا، يخاف على منزلته عند الناس ويتعدا ما أمر وما نهي ولا يكثر.

"همته متى يقطع" (متى نخلص حفظ السورة؟ متى نخلص حفظ الجزء؟) هذه همته، ليست همته متى يفهم!

"يجب أن يُعرف بكثرة الدرس" يدرس كثيراً أو درس كثيراً أو عنده إجازات.

"ويظهر ختمه للقرآن ليحظى عندهم" يظهر لهم ترى أنا ختمت، ترى أنا أجزت.. وهكذا، من أجل أن يظهر عندهم.

هذا كله من آثار ماذا؟ ترك تدبر القرآن، فيخرج ترك التدبر نماذج مثل هذه النماذج.

على كل حال بقي علينا أن نقول هذه خمس نقاط انتهت الآن..

كيف أصل؟ ماهو المسلك الحسن الذي يحصل به تحصيل الأجر؟ هذا ما سيكون نقاشنا إن شاء الله غداً.

لكن بكلمة مختصرة نحن سيكون تطبيقنا على سورة المرسلات، فالمطلوب منكم قدر ما تستطيعون اليوم تسمعون السورة وتكررون قراءتها. وغداً إن شاء الله سندخل في هذا الباب (ماذا نتعامل وماهي الطريقة).